الشّهيد والشّهادة واللّحمة
في
" قبر الرّمثاوي لا يُضام"
للكاتبة
د.سناء شعلان

بقلم: أ. د. شوكت علي درويش/ الأردن

لماذا؟ ألأنّه مشيّد من مرمر؟ أو تعلوه قبّة من ذهب؟ أو أنّ صاحبه (الرّمثاويّ) من المحسنين المعدودين؟ أو لأنّه من العلماء ؟ أو...

أمن المعقول أن يُضام –يُقهر ويُظلم– قبر؟ ومن هو الرّمثاويّ؛حتى لا يُقهر قبره ويُظلم؟

إنّه الشّهيد "لا أحد يعرف اسم الشّهيد الرّاقد في هذا القبر"([1])

اللّغة: العنوان جملة اسميّة،والجملة الاسميّة تعني الثّبات،و "قبر الرّمثاوي" مجاز مرسل علاقته المحليّة،و" لا يُضام " استعارة مكنيّة.وأضافت الكاتبة قبر للرّمثاويّ؛ بإضافة محضة(وتُسمّى :معنويّة،أو حقيقيّة)،وهي:" ما كان فيها الاتّصال بين الطّرفين قويّاً،وليست على نيّة الانفصال؛لأصالتها،ولأنّ المضاف– في الغالب– خالٍ من ضمير مستتر يفصل بينهما"([2])

وجوب اشتمال الإضافة المحضة على حرف جرّ أصليّ مناسب،اشتمالاً أساسه التّخيّل والافتراض لا الحقيقة والواقع،فيلاحظ وجوده،مع أنّه غير موجود إلاّ في التخيّل،أو: في النّية– كما يقولون– والغرض من هذا التّخيّل:الاستعانة بحرف الجرّ

---

[1] - حدث ذات جدار؛قبر الرّمثاوي لا يُضام؛ص ص 71–72

[2] – النّحو الوافي؛ج 3؛ ص ص 1–3.

على توصيل معنى ما قبله إلى ما بعده؛كالشّأن في حرف الجرّ الأصليّ،وأيضاً الاستعانة على كشف الصّلة المعنويّة بين المضاف والمضاف إليه،وإبانة ما بينهما من ارتباط محكم،وملابسة(أيّ:مناسبة) قويّة لا تتكشف ولا تبين إلاّ من معنى حرف الجرّ المشار إليه بشرط أن يكون هذا الحرف متخيلاً خفيّاً،مكانه بين المضاف والمضاف إليه،وأن يكون أحد ثلاثة أحرف أصليّة؛وهي :"من"–"في"–"اللاّم"... والحرف "اللاّم" يدلّ على مِلكيّة المضاف إليه للمضاف،أو: اختصاصه به بنوع من الاختصاص([1]).ومثال "اللاّم" قول الكاتبة: قبر الرّمثاويّ .

الشّخصيّة: "مفهوم الخطاب:هو أن يكون المذكور والمسكوت عنه في حكم الواحد"([2])

وقد لجأت الكاتبة إلى خطاب بسيط أبرزت فيه التّلاحم الجهاديّ بين الأردنيّين والفلسطينيّين والمشاركة في حربي فلسطين مع الصّهاينة 1948 م و 1967م،وما قدّمه الجيش الأردنيّ من شهداء،كما بيّنت أنّ الاسم الشّخصيّ مسكوت عنه.وكالعادة يُنسب النّاس إلى قراهم أو مدنهم،فيقولون الكرميّ(نسبة إلى طولكرم)،والكركيّ (نسبة إلى الكرك)،والمقدسيّ(نسبة إلى بيت المقدس)...،وبخاصّة إذا اشتهر الشّخص بعمل مميّز،خارج مدينته،أو قريته.. ، ومع المدّة ومرور الزّمن يشتهر المذكور بهذه النّسبة "لكن الجميع يسمّونه قبر الرّمثاويّ،فهم يعرفون أنّ صاحبه جاء من مدينة الرّمثا في شمال الأردن..."،ويكتسب الشّخص بهذا احترام الجميع،وبخاصّة من يشعرون أنّه أقرب إليهم "فقضى نحبه في هذه المنطقة،فدُفن في بستان البيت،الذي كان يجوزه،ويدافع عنه ساعة استشهاده". "ومع الوقت نسي أهل القرية اسم الأسرة التي آوته في بستانها"،" لتلقّب الأسرة نفسها بآل الرّمثاويّ".

تتنامى الشّخصيّة مع الشّخصيّة الظّلاميّة(الجدار العازل) الذي عزل قبر الرّمثاويّ عن أسرته التي أحبّته وأحبّها فكان "البيت في شرق الجدار،والقبر في غربه،حزن أهل

---

[1] – المرجع نفسه:ص ص 16–17

[2] – المحرر الوجيز،ج 16،ص 349

البيت أشدّ الحزن لحرمانهم من القبر،وحزن القبر لنفيه عن عائلته التي جاورها سنين طويلة".فكان التّخيّل والافتراض سيّد الموقف لنمو الشّخصيّة،موظفة (الكاتبة) ثقافتها الدّينيّة،يقول الله –سبحانه وتعالى–: ﴿ **وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا ۚ بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ** ﴾] آل عمران 3: 169]ولأنّه حي عند ربّه كان هو الأقدر على تحدّي الشّخصيّة الظّلاميّة "فقد حمل قبره،وانتقل به إلى جوار البيت في النّاحية الأخرى من الجدار". ويظلّ الشّهيد مكرّماً عند أهله وعند من سيلحقهم " وفي الصّباح كان من جديد في بستان البيت ينتظر أهله ليسقوا زهوره النّابته عليه،غير آبه برغبة الجدار الملعون " بعزله ونسيانه ومحوه من الذّاكرة الجمعيّة،وهو الذي تحداهم حيّاً،ويتحدّاهم ميتاً.

وهكذا استطاعت د.سناء الشّعلان من تسليط الضّوء على وحدة الأردنيين والفلسطينيين أحياء وأمواتاً بخطاب واقعيّ حقيقيّ ملموس،مازجة إيّاه بتخيّل وافتراض أضفى على قصّتها حيويّة وفاعليّة بينها وبين المتلقّي بلغة فيها من الاستعارة والكناية وحسن الرّصف ما جعلها ممتعة ومشوّقة مراعية ما تمتاز به القصّة القصيرة جدّاً من غيرها بالقصر،وبشخصيّة رئيسيّة واحدة،وبتسليط الضّوء على حدث نامّ مّ ،مراعية شراكة القارئ– النّاقد شراكة فاعلة.

المصادر والمراجع:

1– حسن،عباس؛النّحو الوافي،دار المعارف بمصر،1119،كورنيش النيل– القاهرى.ج.ع.م،ط 3،د.ت.

2- شعلان؛د.سناء،حدث ذات جدار– مجموعة قصصيّة،أمواج للطباعة والنّشر والتّوزيع،المملكة الأردنيّة الهاشميّة–عمان؛ط 1، 2016.